جدلية الاثبات والنفي في تاريخ القصة العربية

The dialectic of affirmation and denial in the history of the Arabic story

م. م. عادل محمّد عبّود حمّادي العيساوي

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

ثانوية الفاروق الإسلامية

M.M. Adel Muhammad Aboud Hammadi

Al-adil.a908@gmail.com

الملخص

يحاول الباحث بيان مفهوم القصة العربية في العصور التي مرَّ بها الادب العربي، وتبيان بدايات القصة ونشأتها في العصور الادبية الاولى عند العرب.

كما يستقصي الباحث آراء المنكرين لوجود القصة الادبية في الأدب العربي ويعتبرون القصة العربية الحالية هي انعكاس للقصة في الادب الغربي، ويبين الباحث أيضًا آراء الفريق المخالف لهم والقائل بوجود القصة الأدبية في الأدب العربي منذ عصوره الاولى ولكن بصورة تختلف عنها في الأدب الغربي.

ينتقل الباحث بعد ذلك لبيان واقع القصة العربية في العصور الادبية العربية المتلاحقة، ويذكر الباحث أشهر القصصين الذين قاموا عنوا بالقصة العربية القديمة والحديثة في الادب العربي.

الكلمات المفتاحية: جدلية، الاثبات، النفي، تاريخ، القصة، العربية.

Abstract

The researcher tries to explain the concept of the Arabic story in the ages that Arab literature passed through، and to show the beginnings of the story and its emergence in the early literary ages of the Arabs.

The researcher also investigates the opinions of those who deny the existence of the literary story in Arabic literature، and they consider the current Arab story to be a reflection of the story in Western literature،The researcher then moves to explain the reality of the Arabic story in the successive Arab literary ages.

Keywords: dialectic Evidence، denial، history، story، Arabic.

المقدمة

الحمدُ لله الذي علّم بالقلمِ، علّمَ الانسانَ مالم يعْلم، والصّلاةُ والسّلام على سيدِنا محمّد أبلغ العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لطالما تعرّضتِ القصّة العربية القديمة للدّراسة والتّحليل، والكشْف والتفْسير. وقد أخذتْ تلك القصص حيّزًا واسعًا من تلك الدراسات؛ لما لها من صلةٍ وثيقةٍ بالحياةِ الإنسانيّة، وتصوّر نماذج مختلفة من القصصِ البشريّة، حيثُ تقومُ على رفدِ هذه المعاني وتقسيمها لتصبّ في قالبٍ واحدٍ، ترسم فيه الصّالح والفاسدِ، لتحقيق أغراضٍ تربوية ودينيّة وجتماعية، ثمّ إنّ النّفس البشريّة تتوق لِسماع القَصص التي تشدُّ عقولهم وأَسماعهم، وهذه طريقة فطريّة في معرفةِ الماضي وسماعِ أخبارِ الأممِ الغابرة، والاستفادةِ من هذه التّجارب الماضية والتّطلّع الى أخبارِ المستقبلِ أو الغيب.

يدور في فَلَك البحثِ بعضَ الأسئلةِ تحاول هذه الأسطر القليلة والإجابة عنها وهي: هل عرفَ العربُ القصّة في أيام جاهليتهم؟. وما مدى التّطابق بين القديمِ والحديثِ في القصّة؟. هل تنطبقُ العناصر السّردية على القصّة النّبوية أو العربيّة القديمة؟. هذه الأسئلة وغيرها نحاولُ الإجابةِ عنها في بحثِنا هذا، وقلّة الدّراسات الحديثة التي تتناول القصّة في العصرِ الحديثِ بصورةٍ خاصّة، والأدب العربي القديم بصورة عامّة، والتي تتوجّه أغلبها إلى دراسةِ الشِّعر.

ومن أهميّة البحث أيضًا إثباتُ أنّ القصّة العربيّة موجودة وقديمة قِدم الإنسان العربي، وذلك بدراسةِ أصدق شاهد على هذا النّوع الموجود، وهو قريب العهد بذلك الزّمن المختلَف عليه، وهو العصْر الجاهليّ.

وفي الختام فإنّي اسألُ الله تعالى أن يمنَّ عليّ بقَبولِ هذا العمل، ويكون خالصًا لوجهه تعالى، وأنْ يكونَ عملي هذا في صحائفِ أعمالي، وصحائف كلّ مَنْ ساعدني وأرشدني ولو بكلمة، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المبحث الاول
القصة العربية النشأة والتطور

١. مفهوم القصَّة عند العرب:

القصةُ من أهمِّ الفنونِ وأقربِها إلى حياةِ البشرية؛ لأنَّها صورةُ حياتِها اليومية تكتبها لها الأيام، فيها تاريخُها وأمجادُها، وأفراحها وأحزانها، وكل جوانب حياتها وعبرَ الأزمانُ المتعاقبةُ تكونت سلسلةٌ لا نهايةَ لها من القصص، ومن الطبيعي أنْ يهتمَّ الفردُ بهذا الفنِّ منذ القدم، والذي وُلدَ وكَبُر معه، كما إنَّه يعتمدُ على الحكايةِ والمروية، وهذه فطرةُ الشعوب بصورةٍ عامَّة، ولا يمكن تحديدُ فترة بداية وطفولةِ القصةِ؛ لأنَّها تُولدُ بولادةِ الأنسان، فمن البديهي ألاَّ يوجدَ إنسانٌ إلّا ولهُ قصةٌ خاصةٌ به أو مع آخرين يشتركونَ بها، فيُسجّلُ ماضيهُ أو حاضرهُ من خلالها.

لمْ يكن العربي الجاهلي في غفلةٍ عن هذا الفنِّ المجتمعي، كما إنَّ الفردَ العربي القديم عرفَ الأنواعَ الأدبيةَ وكان يجيدُها على أتمِّ وجهٍ، شأنُها في ذلك شأنُ الشعرِ والسجعِ والحكمةِ والأمثالِ، وهذه الأنواعُ تشترك فيها القصةُ، ولكن ليست القصةُ بالمفهومِ الحديثِ المعاصر.

وهناك من يجدُ أنَّ العربَ عرفوا النثرَ قبلَ الشعر، لكنَّهم استساغوا الشعرَ لما فيه من نغمةٍ موسيقيةٍ مميزةٍ، ويمتاز بسهولةِ الحفظ، «ولما رأت العربُ المنثورَ يندُ عليهم، ويتفلتُ من أيديهم ولم يكن لهم كتابٌ يتضمنُ أفعالَهم، تدبروا الأوزانَ والأعاريض، فأخرجوا الكلامَ أحسنَ مخرجٍ بأساليبِ الغناء، فجاءهم مستويًا، ورأوهُ باقيًا على مرِّ الأيّام، فألفوا ذلك وسموهُ شعرًا»[1].

والفردُ العربي الجاهلي من طبيعتهِ يُكثرُ الأسفارَ والتنقلَ بين البلدانِ والأماكنِ المختلفة، وكان يَحدُّ العربَ دولتانِ كبيرتان، وهي الفرسُ والرومُ، وتوجدُ رحلاتٌ بين الدولتين، كما تكثرُ الحروبُ والنزاعاتُ بين الدولتين، وكان العربي يشاركُ في بعضٍ منها أو الحروب الداخلية بين القبائل العربية نفسِها، فهذه كلُّها تكونُ مادةً دسمةً للقصةِ والتداولِ بها في سهارهم والتذاكرُ بين الكبار والصغارِ، ونذكرُ على سبيلِ المثالِ معركة (ذي قار) و(حرب البسوس) و (داحس والغبراء) و (الأوس والخزرج) وكانت تحكى هذه القصص في المجالس التي تجمعهم واستمرت من الجاهلية حتى الاسلام «قيل لجابر بن سمرةَ وهو من

(١) ينظر: الممتع في صنعة الشعر: عبد الكريم النهشلي القيرواني، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، دط ،دت: ص٦.

أصحابِ الرسول(ﷺ) :»ما كنتم تتحدثونَ به إذا خلَوْتم في مجالسِكم؟ قال: كنا نتناشدُ الشعرَ، ونتحدثُ بأخبارِ جاهليتنا»[1]. وهكذا كانت القصةُ الجاهليةُ تستمرُ في الذكرِ وتنتقلُ جيلًا بعدَ جيل.

وعندَ قراءة الأدب العربي الجاهلي نجدُ العديد من القصصِ التي كانت شائعةً والتي وصلتْ أخبارَها إلينا، إمَّا شعرًا أو نثرًا، ومن ذلك ما يُروى من قصصِ أمرئ القيس في رحله وترحاله والصيدِ والسمرِ والمغازلة مع عنيزةَ أو حتى طلبهُ الثائر لأبيهِ أو قصصِ الخيالِ والجنِّ والقصصِ التي تردُ على ألسنةِ الحيوانات، وقد دوّنَ الكثيرُ من العلماءِ العربِ هذه القصصَ في كتبٍ مثل: الأغاني، والعقد الفريد وغيرِها كثير، وذكرَ لنا التاريخُ الكثيرَ من القصّاص الذين عاشوا في الجاهلية ومنهم من بقى إلى الإسلام حيث إن «العلماءَ مجمِعونَ على أنَّ العربَ في الجاهليةِ كانتْ لهم قصصٌ كثيرةٌ ومتعددةٌ، فقد كانوا شغوفينَ بالتاريخِ والحكاياتِ التي تدورُ حولَ أجدادِهِم وملوكِهِم وفرسانِهم وشعرائهم... بل إنَّ المكتبةَ العربيةَ غنيةٌ بأمثال (الأمالي) و(صبح الأعشى) و(العِقد الفريد) و(الشعر والشعراء) وكتبُ التراجمِ والطبقاتِ بما لا يدعُ مجالًا للشكِّ في أنَّ الفنَّ القصصي قد تناولَ الحياةَ الجاهليةَ في كلِّ مظاهرها»[2]. وما يهمنا هنا كيفَ وصلت إلينا أخبارهم؟.

٢. طرق رواية القصص الجاهلي:

وجد الباحثون والنقَّاد والادباء طريقين وصلَ بهما الفن القصصي الجاهلي هما:

أ. المشافهةُ: قال الكثيرُ من النقاد والكتابِ العربِ والمستشرقينَ: إنَّ وصولَ هذا النوعِ من الأدب عن طريقِ الروايةِ الشفهيَّةِ التي كانت سائدةً عندَ العرب، فالعربي في طبيعتهِ لا يعتمدُ على الكتابةِ في العلوم، قال الشاعر محمد بن بشير:

ليس بعلم ما يعي القِمطرُ ما العلمُ إلاّ ما وعاهُ الصدرُ[3].

والقِمَطْرُ: وعاءٌ تصان فيه الكتب، وجمعه: قماطِر»[4].

ويقول ابنُ الأثير: «ولمَّا نصَّبتُ نفسي للخوضِ في عِلْمِ البيان، ورُمتُ أن أكونَ معدودًا من علمائِهِ،

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر،ط٢ ، ٢٠١٢م: ص٧٥.

(٢) في الرواية العربية عصر التجمع، فاروق خورشيد، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط٣، ١٤٠٣ه-١٩٨٢م: ص٢٧-٢٨.

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١٤٢٠،١ هـ، ١/ ٧٠.

(٤) لسان العرب: ابن منظور(ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة: ٥/ ٣٧٤٠: مادة (قمطر).

علِمتُ أنَّ هذه الدرجةَ لا تُنالُ إلاّ بنقلِ ما في الكتبِ إلى الصدور، والاكتفاءُ بالمحفوظِ عن المسطور: ليسَ بعلمٍ ما حوى القِمطرُ...»[١].

العربيُّ عُرف بأنَّه يأخذ الآداب والعلوم مشافهةً ويعيب على الكتابة بوصفها طريقة غير ملائمةٍ لطبيعة العربي، الذي يمتاز بالحفظ السريع والدهاء والفطنة، وهذا ما نلمسهُ في مجال الشعر خاصةً، حيث ورد أنَّ لكل شاعر راويًا يلزمهُ يأخذُ عنهُ شعرهُ ويحفظهُ وهو بمثابة سجل أو ديوانٍ يحفظُ فيه الشعر، وكذلكَ القصصُ هناك من القصّاص من يأخذُ القصصَ مشافهةً ويذيعُها بين الناسِ وعرفوا بالقصّاصين «إنَّ القصةَ الجاهليةَ بقيت معتمدةً على الرواية الشفويةِ فحسب، وإنَّها فقدت أغلبَ ألفاظِهَا وكلماتِهَا، ولم يبقَ منها إلّا المحتوى والمضمون»[٢].

وقال الدكتور شوقي ضيف: «ليس بينَ أيدينا شيءٌ من أصولِ هذا القصص الذي كان يدورُ بينهم، غيرَ أنَّ اللغوينَ والرواةَ في العصرِ العباسي دوَّنوا لنا ما انتهى إليهِم منهُ، وطبيعي أنْ تتغيرَ وتتحرَّفَ أصولُهُ في أثناءِ هذه الرحلةِ الطويلةِ التي قطَعَتْها من العصرِ الجاهلي إلى القرن الثاني الهجري، وإنْ كانَ مِن الحقِّ أنَّها ظلتْ تحتفظُ بكثيرٍ من سماتِ القصصِ القديمِ، وظلت تنبضُ بروحِهِ وحيويته»[٣].

وهناك من يرى إهمالَ هذا الإرثِ الأدبي إلى أسبابٍ دينيةٍ أو رفضِ المجتمعِ لنوعٍ من أنواعِ هذا الون حتى درسَ بمرور الأيام وتجاهل يقول: محمد رجب النجار «إنَّ التراثَ القصصي هو تراثٌ شفاهي... فتجاهلُهُ الدرسَ النقدي والبلاغي (بسببِ أخطاءٍ منهجيةٍ وسوسيولوجيةٍ) ومن ثمَّ لم يواكبْهُ تنظيرٌ نقدي يدخلُهُ في نسيجِ الجمالياتِ كالشعرِ والنثرِ غيرِ القصصي. يضافُ إلى ذلك: الموقفُ العدائي لفقهاءِ الدولةِ ورجالِ الحُسْبةِ وأمثالها، من هذهِ القصصِ ومن (أكاذيب القصاص) و(خرافات العوام) الذين تطاولُوا فتناولُوا (المسكوت عنه) دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا في أكاذيبِهِم (وخرافاتهم الرمزية)»[٤].

ولكنَّها بقيت شفويةً تتطورُ بتطورِ المجتمعِ وتهبطُ بانحطاطِ المجتمعِ وهذا لا يقلِّلُ من شأنِها؛ لأنَّها رفيقةُ المجتمعِ تتأثرُ بتأثرِهِ ولا سيَّما أنَّها الوحيدةُ التي تَجمعُ أكثرَ عددٍ من الناس حولَها ينصتونَ لَها ويتأثرونَ بهَا.

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ت٦٣٧ه)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م:٢/ ٣٤٨.

(٢) القصة العربية في العصر الجاهلي، علي عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م: ص٣٦٨-٣٦٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط١١، ١/ ٣٩٩.

(٤) التراث القصصي في الأدب العربي (مقاربات سوسيو-سردية)، محمد رجب النجار، ط١، دار السلاسل الكويت: ١٩٩٥م، ص١.

ب. التدوين: وهناك من يؤكدُ من النقادِ العربِ بأنَّ الكتابةَ والتدوينَ لم يكونا مجهولينِ عندَ العربِ في الجاهليةِ ، ويُنكرُ أنَّ الذين دوَّنوا أخبارَ الجاهلينَ في العصرِ العباسي قد اعتمدوا على ما حفظَهُ الرواةُ وما تناقلوهُ، إذ ليس من المعقولِ –وقد جاءَ الإسلامُ يَجُبُّ ما قبلَه– أنْ يظلَّ الرواةُ على ترديدِهم للتراثِ الجاهلي في الحفظِ وإتقانه، وإنَّما الذي يُعقلُ أنَّ أصحابَ كتبِ تاريخِ الأدبِ التي دُوِّنت في العصرِ العباسي استعانوا بهذه الكتبِ إمَّا مباشرةً كالميداني، وإمَّا عن طريقِ الرواةِ الذين احتفظوا بمراجعِ الأدبِ الجاهلي، يرجعونَ إليها ويروونَ منها كهشام بن محمد الكلبي... فقد يكونُ من المعقولِ أنْ ينقلَ الراوي قصيدةً شعرًا أو حدثًا تاريخي أو حكايةَ حياةٍ فهذه تحتاجُ إلى تدوينٍ في نقلها»[1]. وليس معنى ذلك أنّ العربَ قبلَ الإسلامِ جَهِلوا الكتابةَ، بل الكتابة كانت بسيطةً لا تعدو بعضَ الأغراضِ التجاريةِ أو السياسيةِ « «أمّا الأعمالُ الأدبيةَ فلم تكن تُدونُ إلاّ نادرًا»[2]. هذا يعني أنَّ الكتابةَ لم تكنْ سمةً من سماتِ ذلك العصرِ لأسبابٍ قد تكونُ حضاريةً أو فكريةً أو بيئية.

المبحث الثاني
العصور الأدبية للقصة العربية

١. القصص العربي في العصر الجاهلي:

يمكن أن نطرحُ بعضَ الآراءِ التي ناقشت وجودِ القصةِ في العصرِ الجاهلي والتي انقسمَ فيها النقَّادُ والأدباء إلى مؤيِّدٍ لوجودِ القصةِ ومنكرٍ، ومنهم من أمسكَ العصا من الوسط:

أ. آراء المنكرين: هم المستشرقونَ ومن تابعَهم من النقادِ والأدباءِ العربِ، يَرَوْنَ أنَّ تراثَ الأمةِ العربيةِ خالي من هذا الفنِّ القصصي، ولا يوجدُ ما يُثبتُ على أنَّ العربيَّ الجاهليَّ عرفَ القصة، ويُرجعونَ هذا إلى مظاهرَ فكريةٍ أو ايدلوجيةٍ خاصةٍ بالعربي، وأنَّ القصةَ والروايةَ هي من منجزاتِ الغربِ التي نُقلتْ إلى الأدب العربي، ويرى هذا الفريقُ بأن «ظهور الرواية العربية يرجع إلى مجردِّ النقلِ الآلي عن الثقافةِ الغربيةِ والتأثرُ الشخصي بها، وبالتالي يغفلُ الشروطَ الاجتماعيةَ والتاريخيةَ التي هيأت الثقافة الملائمة لتكوين جنسَ الرواية العربية وازدهاره وتطوره في الثقافة العربية»[3].

(١) ينظر: في الرواية العربية عصر التجمع، فاروق خورشيد، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٠٣ه–١٩٨٢م: ص٤٠–٤١.

(٢) ينظر: النثر الفني ونقده عند العرب من الشفاهية الى الكتابة، مصطفى البشير، مجلة التراث العربي،ع١٠٧، ٢٠٠٧م.

(٣) ينظر: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم: محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان ومنشورات

ومن آراء ديلاسي أوليري (De Lacy Oleary) في كتابه: «Arabia Before Muhammad» أنَّ العربيَّ ضعيفُ الخيالِ جامدُ العواطف لكنَّه يُعقّب بأنَّ الناظرَ في شعرِ العرب لا يرى فيه أثرًا للشعر القصصي أو التمثيلي أو الملاحمِ الطويلةِ التي تُشيدُ بذكرِ مفاخرِ الأمة كـ: إلياذة هوميروس و شاهنامة الفردوسي[١].

ولعلَّ المشككينَ في أصلِ الأدبِ القصصي عندَ العربِ يقولونَ: إنَّ «القصصَ فنٌّ من فنونِ الأدبِ الجليلة، لهُ عندَ الفرنج مكانةٌ مرفوعةٌ، وقواعدٌ موضوعةٌ، أمَّا عندَ العربِ فلا خطرَ له، ولا عنايةَ به؛ لانصرافِهم عمَّا لا رجعَ للدينِ منه، ولا غناءَ لملك فيه»[٢].

وهناك من يحدد الزمن الذي ازدهرت فيه القصةُ بصورةٍ خاصةٍ والنثرُ، يقول: ثروت إباظة «فالنثرُ الأدبي نفسُهُ لم يزدهرْ إلَّا حين نزلَ القرآنُ الكريم على النبي (ﷺ) ويوعزُ هذا؛ لأنَّ الشعرَ قد أغناهم عنه؛ لأنَّ الشعرَ يشيعُ في نفوسِهم النزعةَ التي تنزعُ بعشاقِ القصةِ اليوم إلى قراءتها»[٣]، وهكذا أتجهَ النقادُ أصحابُ هذا الرأي ينسبوا القصة العربيةَ في العصر الحديثِ إلى أنَّها إنباتٌ جديدٌ في التربيةِ العربيةِ التي احتضنتْ هذا النوعَ الأدبيَّ الوافدَ من الغرب، والذي انتقلَ عن طريقِ نقلِ الثقافاتِ الغربيةِ في بدايةِ القرنِ العشرين «وبقيت القصصُ التي كتبهَا غيرُهُم رغمَ استيفائها للمقوماتِ كافةً مفتقرةً لهذا العطرِ الخفي الذي يجعلُ القصةَ فنًا، وهذه الظاهرةُ ممتدةٌ حتى أيامنا هذه، فلا ضيرَ أنْ نعترفَ أنَّ القصةَ جاءتنا من الغرب وإنَّ أولَ من أقامَ قواعدَها عندَنا أفرادٌ تأثروا بالأدب الأوربي»[٤].

ب. المُثبِتِين: يؤكّد بأصالةِ القصةِ العربية، بوصفها جنسٌ أدبي كأي أمَّة أخرى من حولِها، كالفارسيةُ والهنديةُ والرومانية، ولكنَّ المفاهيمَ تتغيرُ من بيئةٍ لأخرى، إن مفهومَ القصةِ الغربيةِ يختلفُ اختلافًا متباينَ عنِ القصةِ عندَ العرب؛ لأنَّ كلَّ أمةٍ لها فنًّا خاصًا وأدبًا خاصًا بها، لاعتباراتٍ ثقافيةٍ ومظاهرَ حضاريةٍ ومقوماتِ هذه الحضارة، ومن هذه المظاهرِ الحضاريةِ هي الأدب، لكنْ هناك من «سارعَ إلى الإنكارِ على الأدبِ العربي أنَّ فيه قصةً، وما كانَ ذلك الإنكارُ إلَّا لأنّنا وضعنا نُصبَ أعيننا القصةَ الغربية في صياغتِها

الاختلاف، الجزائر، ودار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣١م-٢٠١٠م: ص١٩.

(١) ينظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م/ ص ٤٥-٤٦.

(٢) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة، ص٣٩٣.

(٣) القصة في الشعر العربي، ثروت اباظة، مؤسسة الهنداوي ، القاهرة - مصر، ٢٠١٧م: ص٧.

(٤) محمد بوعزة، تحليل النص السردي: ص١٩.

الخاصةَ بها وإطارها المرسومِ لها ورجعنا نتخذها المقياسَ والميزان»[1]. رغمَ الاختلافِ والتباينِ بين الحياةِ المجتمعِ العربي وبيئتِهِ وحياةِ المجتمعِ الغربي، واختلافِ الطبيعةِ بينَ المجتمعاتِ فمن الإجحافِ أنْ نقيسَ القصةَ العربيةَ القديمةَ بمقاييسِ العصرِ الحديث، فلكلِّ عصرٍ مقاييسُه الخاصةَ بهِ ولكلّ مجتمعٍ أدبَه الذي يجتمعونَ عليه، فمن غيرِ الصحيحِ القولُ «أنَّ العربَ القدامى لم يعرفوا القصةَ لمجردِّ أنَّ خصائصَ القصةِ الحاليةِ لا تنطبقُ على القصصِ كما عرفَها العربُ، وهذا شبيهٌ بقولنا تمامًا: إنَّ الأقدمينَ لم يعرفوا البيوتَ لمجردِ أنَّهم لم يسكنوا العماراتِ والفيلاتِ التي نسكنُهَا اليوم»[2].

نلاحظُ الكثير من التراثِ السردي المستمرِ عبرَ العصورِ القديمة حتى وصلَ مرحلةً من النضجِ زاخرًا بالقصص التي كانت في الجاهليةِ من أخبارِ العربِ والسِّيرِ الشعبيةِ والفروسية، فهذا التراثُ يمثلُ الأصلَ، وجذورُ هذا النوعِ من الأدبِ العربي لكن تختلفُ «بمواصفاتِ القصةِ الفنيةِ الحديثةِ بالطبع، ولكنْ بمميزاتٍ خاصةٍ فرضتها طفولةُ هذا الفن وبداياته، ولا عيبَ في ذلك، فالقصةُ الأوروبيةُ الحديثةُ نشأة في بداياتها في العصورِ الوسطى متأثرةً بأصولٍ عربيةٍ واضحةٍ كقصص السندباد، وكليلة ودمنة، وحي بن يقظان»[3]. والعربُ -كباقي الأممِ- لهم أدبهُم الذي فيه مآثرهم وأمجادهم، والأساطيرِ التي لها تأثيرٌ في كل بيئة، يقول شوقي ضيف: «كانوا يشغفونَ بالقصص شغفًا شديدًا، وساعدَهم على هذا أوقاتُ فراغِهم الواسعةِ في الصحراء»[4].

وعلى مقولةِ أنَّ الأدبَ العربيَّ يخلو من الفنِّ القصصي ويمكنُ طرحُ بعضِ الأدلّةِ العقليةِ والنصوصِ التاريخيةِ منها «مثلًا: ما وردَ في كتبِ التاريخِ والحديثِ والتفسيرِ من رواياتٍ عن النضر بن الحارث، الذي كان يحاربُ دعوةَ الرسول (ﷺ) من خلالِ جلوسِهِ مجلسِهِ بينَ مشركي قريشٍ وتلاوتِهِ عليهِم حكاياتِ الأكاسرةِ وقوّادهم ورجالِ دولتِهم بُغْيةَ صرفِ قلوبِهم عن الدينِ الجديدِ ومحاولةَ تخليصِهم من تأثيرِ كتابِهِ المُعجز... ومنها ما يقولُه المؤرخونَ من أنَّه كان لمعاويةَ رجالٌ موكلونَ بالكتب التي تتحدثُ عن أخبارِ العربِ وسياساتِ الملوكِ الماضين يقرؤونها عليهِ كلَّ ليلة»[5]، هذا رأيٌ أرادَ أصحابُه أثباتَ أصالةَ الأدبِ

(١) محاضرات في القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره، محمود تيمور، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة، ١٩٥٨م. ص٢٦.
(٢) القصة القصيرة، يوسف الشاروني، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٧.
(٣) القصة القصيرة «د. الطاهر مكي ، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م، ص٤٦.
(٤) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: ص٣٩٩.
(٥) ينظر: القصة في الأدب العربي القديم، محمود ذهني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٣م. ص٥٣-١٤٤.

العربي وخاصةً القصةَ بوصفها نوعًا من أنواعِ الأدبية التي برزتْ في الأدب العربي القديم والحديث، فلا يمكنُ وجودُ أمةٍ ليس لها تاريخٌ أو سجلُ أحداث، والعربيُّ الجاهليُّ بطبيعته كانَ كثيرَ التنقلِ بينَ الاماكنِ الصحراويةِ بحثًا عن العشبِ لأغنامِه وأبلِه، وتكثرُ النزاعاتُ والصراعات بينهم، هذا كلُّه يدلُّ على وجودِ قصصٍ خاصةٍ بهم أو قصصٍ تاريخيةٍ يسطرونَ بها ملاحمَهُم وبطولاتَهُم.

ج. الرأي التوافقي: أصحابُ هذا الفريق يوافقونَ بينَ الرأيّينِ بطريقةٍ علميةٍ توافقيةٍ ويجدونَ أنَّ القصةَ لها جذورٌ عربيةٌ قديمة؛ لأنَّها لونٌ من ألوان الأدب، ولكنَّها ليست كالروايةَ بالمفهوم الغربي الحديث «بمفهومها العام قديمةٌ قدمَ البشر، ولكنَّها كفن لم تظهرْ إلّا في القرن التاسعَ عشرَ، وبذورُ هذا الفن القصصي موجودةٌ في التربة منذ القدم، وأكملُ وجهٍ من وجوهها ما وردَ في القرآن الكريم من قصصِ الأنبياءِ والأممِ الغابرة، ويعتبرُ القصص القرآني ذخيرةً غنيةً بأروعِ الأساليبِ القصصية، حتى الأساليبِ الفنية التي لمْ تظهرْ إلاَّ في العصرِ الحديث»[1].

كما نجدُ الأدبَ الغربي قد تأثرَ بالأدبِ العربي الذي نشأت منه الروايةِ القصص والأمثال والأخبار وتطورَ هذا الفنُّ حتى نشأ فن المقامة الذي ألقى بتأثيره على الآداب الغربية «في قصصِ الشطار الإسبانية، ثم الفرنسية التي تأثرت بدورها بهذا النوعِ من القصصِ الإسباني، وكان لقصص الشطار بالطابعِ الذي أخذته عن المقامات العربية، تأثير بالغٌ في نشأةِ قصصِ العاداتِ والتقاليدِ في الأدب الفرنسي... فكانَ للمقامات العربيةِ تأثيرٌ مباشرٌ وغيرُ مباشرٍ في نهضةِ القصةِ العالمية»[2].

وقد أثرَ الأدبُ العربي في الكتَّابِ والنقادِ الأجانبِ حيث «نظرَ الباحثونَ الأجانبُ إلى السردِ العربي نظرةَ أعجابٍ شديدٍ، وأشاروا إلى أهميتِهِ في نشوءِ الروايةِ الغربية، والكاتب أرنست رينان يقول: من المُسلّم به عمومًا أنَّ أوربا استوردت من العالم الإسلامي قصَصَهُ ورواياتِهِ وحكمَهِ وأمثالَهِ، ويوافقُه الكاتبٌ ما كيال بقوله: «إذا كانت أوروبا مدينةٌ بدينها إلى اليهودية، فهي كذلك مدينةٌ بأدبها الروائي إلى العرب «ويعترفُ الناقدُ العالمي تودوروف بأنَّ «فن الروايةِ الحديثِ يعودُ إلى أصلٍ عربي»[3].

(١) ينظر: مقال (جذور القصة في الأدب العربي/ د. فاضل والي) منتدى الشاعر حسن محمد نجيب، نقلاً عن: الأدب العربي الحديث، د. محمد صالح الشنطي، ص٣٤٢، دار الأندلس للنشر والتوزيع بحائل ، السعودية.

(٢) في النقد التطبيقي والمقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، دت.:ص١٥.

(٣) الفن القصصي في النثر العربي، د. ركان الصفدي، مطابع وزارة الثقافة، ط١، دمشق ٢٠١١م، ص٥-٦

٢. الفن القصصي العربي في العصر الإسلامي:

في صدرُ الاسلامِ وبعدَ انتهاءِ العصرِ الجاهلي، بدأت بوادرُ تغييرِ ملامحِ الأدب العربي من حيث المضمون، أو تغييَّرِ موضوعاتٍ التي كانت متداولةً لدى أفراد الجاهلية، وأنتشر الصدقُ في التعبير بَدَلَ الخيالِ الواسعِ والأساطير الوهميةِ والالتزام في الطرح، أمّا من حيث الشكلِ فبقى على حاله، وهو امتدادٌ للأدب الجاهلي؛ لأنّهم هم من كان ينشرهُ في الزمنين، والدلالةُ على ذلك بأنَّ القرآنَ الكريم كانت إحدى أساليب دعوته هي القصة، وعلى نفسِ منهجهم لتكونَ قريبةً من نفوسهِم ويستسيغها الجاهلي، كما كانت قصصُ القرآن الكريم، ومن الكتّابِ والنقادِ من يرى القرآن الكريم هو نموذجٌ من نماذجِ القصةِ الجاهلية وهذا الرأي اختلفَ فيه بعضُ النقادِ والأدباء، وعلى امتدادِ القرآنِ الكريم فقد جاءت السنةُ النبويةُ بكثيرٍ من القصص التي تستهوي نفوسَ المسلمينَ وغيرَ المسلمينَ وتطرقُ مسامعَهُم في التعليمِ وأخذِ الدروسِ والعبرِ والعظاتِ منها، والقاصُّ كانت له أهميةٌ كبيرةٌ في بدايةِ الدعوة، لذا نلاحظ العديدَ من قُصَّاص العصرِ الجاهلي قد زادت شهرتُهم في صدرِ الإسلام «وأولُّ من قصَّ من الصحابة الأسود بن سريع، وقيل تميم الداري، وهو من أوَّل من جلسَ ليقصَ في مسجدِ رسول الله (ﷺ) في المدينة، ومن أوَّل من قصَّ من التابعينَ بمكةَ عبيد بن عمير الليثي، وقد جلسَ إليه عبدالله بن عمر وسمعَ عنه، وقد أقَرَّتْهُ السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها... ثم صارَ القصصُ مما يُلقى في مسجدِ رسولِ الله (ﷺ) واتخذت له حلقةً كحلقة الدرس، وأولُ من لزم ذلك فيه، مسلمُ بن جندب الهذلي... وقد سبقهم إلى ذلك عبدالله بن سلام الذي أسلم عند هجرة النبي (ﷺ)، وكعب الأحبار ووهب بن منبه، ثم كان القرن الثاني فجلس الحسن البصري - رضي الله عنه- وكان أصدق القصَّاص[١].

ويفيضُ الحديثُ الشريف في الكثيرِ من القصةِ وتعددِ موضوعاتها، وحيكت على نسقِ القرآن الكريم فكانت مكملةً له، تُعدُ القصة النبويةُ في الترتيب الثاني بعدَ القرآن الكريم وقد حافظت على القالبِ القرآني في الخصائصِ الفنية وتبعت النهجَ والتناسقَ القصصي القرآني خطوةً بخطوة، وبما أنَّها اتخذت القصةَ وسيلةً لبلوغِ الهدفِ الديني فحققت الغرض الديني بأُسلوبٍ أدبي متميزٍ كي تخاطبَ العقولَ وأقناعها وإمتاعِ الذوقِ العاطفي الحكيمِ ودقدقةِ المشاعر الإنسانية الهادفة، فلم يختل النظام البيان الفني من حيث جماليةِ الأدبية للقصة، فلا تخرجُ عن المسار أو منهج القرآن الكريم حيث تُرسمُ خطى القصة النبوية من هيكلية

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، راجعه عبدالله المنشاوي، مهدي البحيري، مكتبة الايمان، المنصورة، مصر، ١/ ٣٢٧.

قصة القرآن الكريم وهي امتدادٌ لها من ناحية الشكلِ والمضمون والهدفِ والغرض نفسه.

والقصّاص في صدرِ الإسلام كان لهم دورٌ في توضيح أسبابِ النزولِ أو تفسيرِ الآيات الكريمة وعن أخبار العربِ الأوائلِ وأشتهرَ في هذا العصرِ الكثيرُ من القصّاصين الذين كان لهم اطلاعًا على أخبار السابقينَ وعن الكتبِ السماوية السابقة «ولم يكن القصصُ في عصرِ صدرِ الإسلام منبوذًا أو مرذولًا، ولا يرون فيه باسًا، وذلك أنّ الفن القصصي يرجعُ إلى القرآن والحديث الشريف، ولم يكن يشوبه إلّا ما كان يتعارفون علية «بالعلم الأول» وهو الذي يتعلق بأخبار الأمم السالفة المأخوذةِ عن أهل الكتاب ممن أسلم منهم»[(١)]، ومن أشهرهم عبدالله بن سلام، وأُبي بن كعب وكعب الأحبار، وتميم الداري، ووهب بن منبه الصنعاني.

يقول السيوطي «وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص»[(٢)]. وللقصّاص دورٌ بارزٌ في «توجيه المجتمع نحو الفكر الديني، وذلك بتوضيحِ وجهة نظر الاسلام، وتعليمِ الناس القرآن وأحكامهِ وموعظة، وسنة رسول الله (ﷺ) في أمور الحياة العامة... لرغبة القصاص في تبليغ الدين، والحصول على الأجر من الله (ﷻ)»[(٣)].

إذن للقاص دوران الدور الأول توضيح تعاليم الدين الجديد. والثاني تذكير الناس بالأمم السابقة لما فقهوا من الكتب الأمم السابقة، وهذا يقودنا إلى أنّ القصّاص أخذوا منحى آخر غير الإمتاع والتسلية إلى أبعد من ذلك.

وعصر الخلافة الراشدة هو امتدادٌ لعصر النبوة فلم يختلف عن القصاص شيء في الدعوة، أنّهم كانوا أئمة المساجد وكانوا يخطبون في أيام الجمعة والعيدين ويُذكر عن تميم الداري» أنّه أوّل من قصّ في مسجد رسول الله (ﷺ)، استأذن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)) أنّ يذكر الناس، فأبى عليه حتى كان آخر ولايته، فأذن له أن يذكر الناس في الجمعة ، فكان تميم يقوم بذلك قبل أن يخرج عمر ((رضي الله عنه[(٤)].

(١) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الايمان، المنصورة، ٣ / ٣٩٧.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت٩١١ه)ـ، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، سنة النشر ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، لبنان، ٢/ ٣٣٣، رقم ٥٣٤٤.

(٣) دور القصاص في نشأة علم التاريخ في صدر الاسلام ،اعداد ، وجدي محمود محمد ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين ٢٠٠٦م، ص٨٥.

(٤) دور القصاص في نشأة علم التاريخ في صدر الإسلام، وجدي محمود محمد، ص٦١.

وتطوّرت القصة في هذا العصر فأصبحت لها وظيفة مهمة في الفتوحات التي شهدها هذا العصر «تطورت في عصر الخلفاء الراشدين أيام الفتوحات لما للقص من أثر تحريضي وتربوي وديني يتمثل في تشجيع المقاتلين، فقد كان القصاص يثيرون فيهم الحماسة الدينية كالشعر في الأيام الجاهلية»[1]، وبعد أن أتسعت الدولة وكثرت أمصارها، ودخلت في مشاكل والفتن السياسية التي دارت في نهاية الخلافة الراشدة أخذ القصّاص منحى آخر وهو المنحى السياسي وتأثره به، وبدلا من أنّ تخدم الدين أصبحت وظيفة القصّ تخدم جماعة سياسية دون أخرى باسم الدين مما دعا الولاة إلى مراقبة القصّاص، وورد أنّ علياً كرم الله وجهه دخل مسجد البصرة فوجد فيه القصّاص يقصّون فعزلهم، وأبقى الحسن البصري؛ لأنّ كلامه يشمل الزهد والآخرة[2].

وهكذا انتشروا القصّاصون انتشاراً واسعاً وانقسموا الى القصّاص السياسيين ينشرون أخبار الحروب التي كانت تعصف بالدولة والمشاكل الداخلية، والقصّ الديني الذي لا يخرج عن التفسير والوعظ والإرشاد وخير مثال ما ذكرناه سابقاً وهو الحسن البصري وهذا في طرف العراق، أمّا في الطرف لثاني أيّ في بلاد الشام نرى عكس ذلك زادت وظيفة القاص وواجباته لخدمة السياسة والدولة «كان سيدنا معاوية قد أهتم أيضا بالقصص، فأمر القصّاص أن يرفعوا مكانتهم في عيون المسلمين، وقد ذكر ابن منظور صاحب كتاب المختصر، ومن مظاهر التفات معاوية الى أهمية القصص أنّه عيّن قاصاً يقصّ بعد الصبح وبعد العصر»[3].

ويمكن إيجاز القول بأن القصّاص والقصة قد مرت بمراحل عدَّة، ففي صدر الإسلام كانت تأخذ الطابع الديني مستلهمه مادتها من القرآن الكريم، ومن الأحاديث الشريفة وسيرة الرسول (ﷺ)، وكان الهدف منها ديني بحت، ثم تطور لتشمل التفسير والحديث وأيّام العرب وتكون لها حلقات وخطب في المساجد في فترة الخلافة الراشدة، ثم خرج في عصر الفتنة الى أغراض سياسية بين المتصارعين على الحكم.

٣. القصَّة العربية في العصر الأموي:

مضت في العصر الأموي مختلف العلوم والآداب بخطوات سريعة الى الإمام لأنّه يتفق مع التطور الذي شهدت الجزيرة العربية أثر الفتوحات واتساع الدولة والانفتاح الذي صاحب هذا العصر، فبرزت قصص العشاق مثل قيس وليلى، جميل وبثينة، كما شهدت الدولة الاسلامية أحداثًا سياسية وعسكرية كثيرة

(١) د. ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي: ص٤٠.
(٢) وجدي حمود محمد، دور القصاص في نشأة علم التاريخ في صدر الاسلام م، ص٦٩.
(٣) ينظر: دور القصاص في نشأة علم التاريخ في صدر الاسلام، وجدي محمود محمد: ص٦٩.

عصفت شكَّلت هذا العصر، فقد نشطت القصة في موضوعاتها وفي جميع الاصعدة، فدمجت ما بين ما هو إسلامي ملتزم، وبين قصص العشاق، والصراعات السياسية، أو قصص وخرافات، ويمكن القول بأنّها عادت تأخذ من النمط الجاهلي أسلوباً لها لكن بأسلوب متطور بعض الشيء، وبدأت تتطور القصة تطوراً ملحوظاً من خلال ازدهار الدولة والترف الذي كان موجوداً في المجتمعات العربية في الجزيرة.

تمثلت في القصص الدينية التي كانت المساجد حاضنةً لها وهم علماء الدين وأهل الكلام والوعّاظ بوصفها وسيلةً من وسائلِ الدعوة، وقد برز في هذا العصر قصّاص مثل الأسود بن سريع وهو أول من قصّ في البصرة ، وواصل بن عطاء إمام المتكلمين، والحسن البصري من الوعّاظ وأهل الزهد، وكانوا يتناولون مواضيع والقصص الدينية من خلال قصص القرآن الكريم والسيرة النبوية والغزوات التي صاحبت الدعوة أو قصص الأنبياء والمرسلين وقصص الصحابة.

ومن المواضيع الجديدة القديمة والتي نشطت نشاطًا سريعًا من خلال نماذج الشعر القصصي الذي أزدهر، وقصص العشق والغزل بكل أنواعه، مثل مغامرات الشاعر عمر ابن أبي ربيعة ،العشق بين قيس وليلى وجميل وبثينة وآخرين.

٤. القصَّة العربية في العصر العباسي:

العصر العباسي هو العصر الذي أرتقى فيه العلم والأدب سلّم المجد ووصل إلى القمة، وأصبح العصر الذهبي في تاريخ الدولة الاسلامية؛ لما حاز هذا العصر من اهتمامٍ في جميع المجالات العلمية والفنّية والأدبية والمعرفية، كما أُسست دار الحكمة التي كانت مكانًا حوى العديد من هذه العلوم، فقد ألّف فيها معظم الكتب التي وصلت إلينا من ذلك العصر والعصور التي سبقته ومن هذه الكتب على سبيل المثال «الأغاني» لأبي فرج الاصفهاني، «البيان والتبيين» و «الحيوان» للجاحظ و«العقد الفريد» لابن عبد ربه و«الأمالي» للقالي، وغيرها الكثير التي عمُرت بها المكتبات العربية والعالمية، ونشطت الترجمة التي نقلت العديد من العلوم الجديدة إلى الدولة الاسلامية، ونشطت أنواع جديدة من القصص الخيالية والأسطورية مثل «كليلة ودمنة» لابن المقفع ونلحظ تطور القصة العربية في هذا العصر الذي أنتج مثل قصص (رسالة الغفران) للمعري و(حي بن يقظان) لابن طفيل.

وبرز في هذا العصر الانفتاح على العالم وظهور العديد من العلماء غير العرب حيث «أثمرت فيه الفنون الإسلامية، وازدهرت الآداب العربية ونقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلًا إلى

البحث ومجالًا للتفكير»[١]. وظهر نوع جديد من أنواع القصص والذي يسمى القصة القصيرة وكان لها صداها في الأدب العربي والأدب الغربي وهي المقامة التي تمثلُ نوعًا جديدًا من أنواع السردية العربية.

٥. القصة العربية في العصر الحديث:

وبعد العصر العباسي بقيت القصة على نفس المنوال، ونعرف أنَّ الأدب يتطوّر مع تطوّر المجتمع، وبما أنَّ الدولة الإسلامية بعد العصر العباسي كثرت فيها الحروب والصراعات لم تتطوَّر القصّة حالها حال الأنواع الأدبية الأخرى والتي كانت تُحاكي المقامات، واعتمدت على الزخرف الفظي، وكثرة السجع، والمحسنات البديعية التي كانت تثقل القصة. حتى نصل إلى العصر الحديث، المتمثل في القرنين الماضين، والذي بدأت فيه النهضة الغربية والتطور الهائل وما يسمى بالثروة الصناعية صاحبته تطوّر في مجال الأدب، وبما أنَّ الدول العربية كانت قريبةً من هذه الدول إمَّا عن طريق الاستعمار أو انتقال بعض العرب للدراسة في المدارس الفرنسية والبريطانية، دارت عجلت التطوَّر الأدبي في بعض الدول العربية منها مصر والبنان؛ لأنّهما على تماس مباشر مع الغرب ونقلوا الآداب الغربية، ومن خلال التتبع التاريخي للقصة أو الرواية العربية يمكن تقسيمها على مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: التأسيس: ذكر النقاد بأنَّ القصة الأدبية أو الرواية العربية أول ظهور لها كان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أي في سنة ١٨٦٧م والمدة الممتدة من هذا التاريخ إلى بداية القرن العشرين تعتبر وريثة الأدب القديم الكلاسيكي، كما إنَّها بمرور الزمن قامت تتراوح بين ما هو قديم يمثل «الحنين إلى الماضي ومحاولة الاندماج فيه مرة أخرى، والافتتان بالغرب والخضوع لهيمنته»[٢]. ويمكن تقسيمها إلى فترتين: الأولى: وكانت تأخذ من المقامات أسلوبًا لها حتى بداية القرن العشرين حيث تصب بالقالب العربي القديم مثل «حديث عيسى بن هشام « للمويلحي» الليالي سطيح» الحافظ ابراهيم» و « ليالي الروح الحائر»[٣]، والثانية: عُرفت بترجمة بعض الروايات الأوربية الرديئة «القصص المترجمة حافل باللغة الهزيلة والركاكة، حافل بالتحريف والنسخ. مثل «الباريزية الحسناء» ترجمها نجيب الحداد ١٨٨٤م «الفرسان الثلاثة « ترجمها طانيوس عبده ١٨٨٨م»[٤].

ويعد الميلاد الأول للرواية العربية أو النقلة النوعية في تاريخ القصة العربية عند صدور رواية «زينب»

(١) أحمد حسن الزيات، تاريخ الادب العربي: ص٢١٠.
(٢) لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، محمد هادي مرادي، مجلة دراسات الادب المعاصر ع١٩٩١،١٦م: ص٤.
(٣) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢٦.
(٤) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: ص٥٢.

لمحمد حسنين هيكل في عام ١٩١٤م ومن هنا «راحت القصة في تطورها السريع تخطو خطًا واسعة وتحاول التمشي على قوانين الفن الصحيح»[١]، وتوالى التأليف على هذا المنوال الذي أتخذ من مقاييس الغربية نموذجًا له، واشتهر العديد من الروائيين مثل «نجيب محفوظ، المازني، والحكيم، طه حسين، توفيق الحكيم. ورواد القصة القصيرة جبران خليل جبران، وإبراهيم المازني، ومحمود تيمور، وميخائيل نعيمة.

وامتدت هذه المرحلة من الكتاب الروائيين إلى النصف الأول من الأربعينيات القرن الماضي من عام (١٩١٢م-١٩٤٥م) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتعتبر الرواية الرومانسية وبعدها الواقعية، هي المسيطرة على هذه الفترة التي تطورت بها الرواية العربية «وكانت الروايات الرومانسية في هذه المرحلة تسير في خطين: الأول الرواية الاجتماعية التي تستلهم أحداثها من المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب كما نجد في روايات هيكل، والمازني، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وطه حسين وعباس العقاد. والآخر الرواية التاريخية التي تستوحي موضعها من التاريخ ما نجده في أعمال جرجي زيدان، فريد أبو حديد، وعلي باكثير، وسعيد العريات ، وعلي الجارم ، ونجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار وغيرهم»[٢].

المرحلة الثانية: امتدت فيها الرواية العربية من منتصف الأربعينيات حتى بداية السبعينيات من القرن العشرين (١٩٤٥م-١٩٦٧م)، شهدت هذه المرحلة الكثير من التغيرات على مستوى الدولي، من حيث استقلال المجتمع العربية من الهيمنة المحتل الأجنبي، وبداية التحرر وبناء الدولة، مما جعل الرواية العربية تتسم بـ»الواقعية نقدية تعنى بالمجتمع من اجل اصلاح والنهضة والتقدم من خلال تقديم نماذج إنسانية مأزومة، تعكس حركة المجتمع وبعض قضايا الواقع كمت نجد في أعمال نجيب محفوظ و حنا مينة و جبرا إبراهيم جبرا وغسان كنفاني على سبيل المثال»[٣].

المرحلة الثالثة: وهذه المرحلة التي امتدت من بداية سبعينيات القرن العشرين أو بعد نكسة ١٩٦٧م، وجدت الرواية العربية بعض التحولات، وأرادوا سلك مسار مختلف عن الواقعية القديمة، وعرفت هذه مدة ببعض المحاولات نحو مسار واقعية جديدة تختلف عن سابقتها «الواقعية التقليدية» وعلى الواقعية الجديدة «الواقعية الجديدة أو السحرية» وتعبر هذه المرحلة عما بعد النكسة «وأسلوب الرواية في إطار هذه الرؤية الواقعية الجديدة يعتمد على المفارقة الحادة والسخرية الشديدة في تصوير البسطاء الذين يعيشون في

(١) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي: ص٢٦.

(٢) لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، محمد هادي مرادي، مجلة دراسات الادب المعاصر، ع٦ ص١١٢.

(٣) لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، محمد هادي مرادي، ص١١٢، نقلا عن: الرواية السياسية. القاهرة . دار النشر للجامعة المصرية، مجلة دراسات الادب المعاصر، ع٦، ص٧٩.

القرى أو في الأحياء الشعبية ، والتي تمثل قاع المجتمع ، أفراد هامشيون من الفلاحين والعمال.... وغير ذلك»[1]. أو «الواقعية التجريب»[2]. كما عرفت هذه المرحلة أسماء كثير من الروائيين الذين مثلوا هذه المرحلة، ونذكر البعض منهم على سبيل الاختصار ادوارد خراطة، جبرا إبراهيم جبرا، حيدر حيدر، جمال الغيطاني، سليم بركات .. وغيرهم.

(١) لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها ، محمد هادي مرادي، ، ص١١٣، نقلا عن « الرواية السياسية . القاهرة . دار النشر للجامعة المصرية ص٧٣.

(٢) تحليل النص السردي ، محمد بوعزة، ص٢٢.

الخاتمة

توصَّل الباحث من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. وُجدت القصَّة الادبية في التراث العربي منذ عصره الأوَّل، وكانت تعكس الحياة العربية التي اتسمت بالبساطة والبعد عن التكلف والتعقيد في تلك العصور القديمة وفي موضوعاتها وعقلية مؤلِّفيها.

٢. انتقلت القصَّة الأدبية إلى العصور اللاحقة بطريقين هما: الرواية الشفوية غالبًا وبالتدوين أيضًا، حيث وجدت نصوص قصصية أدبية في الدويلات العربية قبل الإسلام، وفيما دوَّنه الرواة سماعًا من العرب في بواديهم، خصوصًا في قصص الأمثال والحكمة.

٣. مرَّت القصَّة العربية بعصور عديدة ومتلاحقة، فبدأت بقصص العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام)، مرورًا بالعصور الإسلامية والأموية والعباسية والحديثة، ووصولًا إلى القصَّة الأدبية المعاصرة.

٤. أنكر بعض الباحثين والمستشرقين وجود قصَّة أدبية في التراث العربي القديم ومشكلة المنكرين أنَّهم لم يجدوا قصَّة تنطبق عليها المعايير الأدبية الغربية الحديثة والمعاصرة، وهذا إجحاف علمي وأدبي بحق القصَّة العربية القديمة، وقد ردَّ عليهم فريق آخر من الباحثين والأدباء والنقاد ممَّن أثبتوا وجودها في التراث العربي ولكن ضمن المعايير الأدبية العربية لا الغربية.

٥. اشتهر في التراث العربي الكثير ممَّن اختصُّوا بالقصص العربي وروايتها بأهداف مختلفة، منها الديني والأدبي والاجتماعي والتعليمي وغير ذلك من أغراض وأهداف القصص الأدبية.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ت٩١١ه)ـ، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، د.ط.، ١٤١٦ه-١٩٩٦م.

٢. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، راجعه: عبدالله المنشاوي، مهدي البحيري، مكتبة الايمان، المنصورة، مصر، د. ت.

٣. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط١١.

٤. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.

٥. تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم: محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ودار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣١م-٢٠١٠م.

٦. التراث القصصي في الأدب العربي (مقاربات سوسيو-سردية)، محمد رجب النجار دار السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٥م.

٧. الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٨. جذور القصة في الأدب العربي، د. فاضل والي، منتدى الشاعر حسن محمد نجيب، نقلًا عن: الأدب العربي الحديث، د. محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع بحائل، السعودية.

٩. دور القصاص في نشأة علم التاريخ في صدر الاسلام: وجدي محمود محمد رسالة الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين ٢٠٠٦م.

١٠. فجر الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.

١١. الفن القصصي في النثر العربي: د. ركان الصفدي، مطابع وزارة الثقافة ط١، دمشق ٢٠١١م.

١٢. في الرواية العربية عصر التجمع: فاروق خورشيد، دار الشروق، القاهرة مصر، ط٣، ١٤٠٣ه-١٩٨٢م.

١٣. في النقد التطبيقي والمقارن: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، القاهرة، د. ت.

١٤. القصة العربية في العصر الجاهلي: علي عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

١٥. القصة القصيرة: د. الطاهر مكي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٤٦.

١٦. القصة القصيرة: يوسف الشاروني، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٧. القصة في الأدب العربي القديم: محمود ذهني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١ ١٩٧٣م.

١٨. القصة في الشعر العربي، ثروت اباظة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧م.

١٩. لسان العرب: جمال الدين ابن منظور (ت٧١١ه)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

٢٠. لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها: محمد هادي مرادي، نقلا عن الرواية السياسية، القاهرة، دار النشر للجامعة المصرية.

٢١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ت٦٣٧ه)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٢. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه.

٢٣. محاضرات في القصص في أدب العرب ماضيه وحاضره، محمود تيمور معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢٤. الممتع في صنعة الشعر: عبد الكريم النهشلي القيرواني، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، د. ط. ،د. ت.

٢٥. النثر الفني ونقده عند العرب من الشفاهية الى الكتابة: مصطفى البشير مجلة التراث العربي، ع١٠٧، ٢٠٠٧م.